مجلة العلوم الإنسانية
Journal of Human Sciences
www.Suj.sebhau.edu.ly ISSN 2707-4846
Received 24/10/2020 Revised 12/11/2020 Published online 31/12/2020

الجمع بين الحياة والموت في سورة البقرة

أبو بكر محمد أبو بكر نور الدين
قسم الدراسات الإسلامية–كلية التربية–جامعة سبه، ليبيا
للمراسلة: bou.noridin@sehau.edu.ly

الملخص يتناول هذا البحث ظاهرتي الحياة والموت في القرآن الكريم، من خلال تتبع الآيات التي جمعت بين مادتي الحياة والموت، وتم اختيار سورة البقرة أنموذجاً لهذه الدراسة لاحتوائها أكبر عدد من الآيات التي جمعت بين المادتين، وبعدة المقارنة والنظر تم تحديد الدراسة بعنوان: **(الجمع بين الحياة والموت في سورة البقرة)**، وقد تم التركيز على بيان مفهوم الحياة والموت وإيضاح مدلولاتهما، وإيراد شيء من أقوال العلماء في هذا الشأن، وبيان أوجه كل من الحياة والموت، وأنهما لفظان متغايران، وكل منهما نقيض للآخر، ومن ثم عُرضت الآيات التي تلازم فيها مادتا الحياة والموت في سورة البقرة، والوقوف على الاستدلالات من خلال أقوال المفسرين في هذه الآيات، بالإضافة إلى التعريف بسورة البقرة، وذكر شيء من أغراضها وخصائصها، وعرض ما جاء في فضلها من آثار.

الكلمات المفتاحية: التلازم، الجمع، الحياة، سورة، الموت.

Combining life and death in Surat Al-Baqarah

Abu Bakr Mohammed Abu Bakr Nooruddi
Department of Islamic Faculty of Education, Sebha University, Libya
Corresponding author: bou.noridin@sehau.edu.ly

Abstract This research studies the phenomena of life and death in the Holy Qur'an. After the initial induction in this topic by following the verses in the entire Qur'an, the researcher discovered the enormity of the topic and the difficulty of studying it in terms of surveying the verses as well as collecting and labelling them. Hence, the researcher decided to prepare an analytical study in the field of Qur'an interpretation by following the verses that brought together the two topics of life and death. Surat Al-Baqarah was chosen as a model for this study because it contained the highest number of verses that combined the two topics, and after making comparisons and views, the research was decided to be done under the title **(Combining life and death in Surat Al Baqarah).** The scope of the study will be confined to the concept of life and death, clarifying their meanings and mentioning some of the famous scholars sayings in this regard and to clarify the aspects of both life and death, to show that the two are contradictory to each other, and then to display the verses in which life and death were mentioned together in Surat Al-Baqarah. In addition to introducing Surat Al-Baqarah, mentioning some of its purposes and characteristics and presenting the results of its virtues. After this comes the conclusion, which includes the most important results and recommendations. The conclusion is followed by indexes of sources and references and a table of contents.

Keywords: Correlation, Plural, Life, Surat, the death

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، تبصرة لأولي الألباب، وأودعه من فنون العلوم والحكم العجب العجاب، وجعله أجلّ الكتب قدراً، وأغزرها علماً، وأبلغها في الخطاب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب الأرباب، وأشهد أن نبينا، ورسولنا، وإسوتنا محمداً عبده ورسوله، المبعوث من أكرم الشعوب وأشرف الشعاب، إلى خير أمة بأفضل كتاب، صلّى الله وسلم وبارك عليه وعلى آل بيته الأحباب، وعلى صحبه الأنجاب، صلاة وسلاماً دائمين إلى يوم المآب.

أما بعد فإن الشريعة الإسلامية أولت جلّ اهتمامها بالحياة البشرية، وجعلت مقصد حفظ النفس من أهم كلياتها، فهي تعارض ما من شأنه أن يمسّ بكرامة الآدمي حال حياته وحال موته، فالحياة والموت ظاهرتان طبيعيتان، وكلاهما نقيض للآخر، ومن عجائب قدرته تعالى وبدائع حكمته أن خلقهما وكتبهما على عباده، وقدرهما آجالاً، وهو وحده المتصرف فيهما، وكل عبد له آجال مكتوبة في الحياة والممات، وفي كل لحظة في الدنيا يحيي الله تعالى آلافاً ويميت آلافاً أخرى، ولا تزال الدنيا في حركة متجددة من الحياة والموت، فهذا يولد وهذا يموت، والمؤمن الحق من تساوت عنده مواضعهما، فلا يبالي بأحدهما، ولا فارق عنده بينهما، ويقينه أنهما بتقدير الله وقضائه، وأن المخلوق لا يبقى حياً بأسباب الحياة، ولكن بإرادة مسبب الحياة، فإن عاش ففي رضا الله تعالى، وإن مات فإلى رحمته مصداقاً لقوله تعالى: **﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾**.

ومن عجيب ما نبه عليه القرآن الكريم تناوله ظاهرتي الحياة والموت، وهذا كله مبسوط في أغلب سوره بعبارات متنوعة، فلا

يكاد يذكر معنى للحياة إلا ويستتبعه معنى للممات، للدلالة على الارتباط الوثيق بينهما، كقوله تعالى: **﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾**، وقوله تعالى: **﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾** ، من هنا جاءت فكرة تتبع الآيات وحصرها في هذه السورة، لهذه الأسباب وغيرها استخرت الله تعالى للكتابة في هذا الموضوع، ودراسة هاتين

الظاهرتين بتتبع الآيات التي جمعت بين مادتي الحياة والموت، ولأجل الإحاطة بهذا الموضوع تم اختيار سورة البقرة أنموذجاً لهذه الدراسة، لاحتوائها أكبر عدد من الآيات التي جمعت بين المادتين، فهي في غالب آيها تدعو إلى التأمل في ظاهرتي الحياة والموت وما وراءهما، وهذا ما يجعلها أكثر تميزاً في هذا الجانب، فسورة البقرة تحتل مكانة عظيمة من بين سور القرآن الكريم، وهي من أطول سوره عدداً في الآيات، وجاء في فضلها من الآثار ما يربو عن الحصر، فضلاً عن مجموع الأحكام الفقهية التي تناولت أجزاء منها، وفصلت في بعضها الآخر، هذا بالإضافة إلى أنها من أكثر السور عرضاً لظاهرتي الحياة والموت اللتين هما من أشد الأمور تأثيراً في النفوس، وبعدة المقارنة والنظر تم تحديد الدراسة بعنوان: **(الجمع بين الحياة والموت في سورة البقرة)**.

وكان من أهم المناهج التي سار عليها الباحث هي: المنهج الاستقرائي، والمنهج النقلي، والمنهج التحليلي، متخذاً الاستقراء والتحليل في دراسة الجزئيات بهدف الوصول إلى فهم الكليات، ومن ثم المنهج النقلي الذي يتم من خلاله استنباط الجزئيات مادة أساسية.

ومن آيات الله تعالى أنه خلق الموت والحياة ليبلو عباده أيهم أحسن عملاً، فهما سنة لا تتغير ولا تتبدل، وما بين الحياة والموت مطلوب، كي يتدبر المسلم ويتفكر في أحوالهما، والله تعالى أوجد في الدنيا الحياة والموت، فأحيا من شاء وأمات من شاء، وجعل الأرض تضم الخلق حال الحياة والموت على ظهرها وفي بطنها، وها هنا أمر ينبغي التفطن له، وهو أن في الحياة والموت استبقاء للنوع الإنساني، وأمرهما ليس مرهونا بقتال أو غيره، وإنما هو محدد بمشيئة الله تعالى، وكُلّ مخلوق له مدة يَحْيَاها، وأجل يقضيه.

ومن خلال جريان هذا القانون على وجود الإنسان الذي يشارك النبات في مسيرة التطّور، فإن عجلة الموت والحياة لا تزال تدور إلى أن تفنى الخلائق وتقوم الساعة، والواقع أن قضية الموت والحياة تبقى عرضة للأخذ والرد، ومن هنا وقع الخلاف في تنزيل المعنى الواحد من مادتي الحياة والموت، كما وقع لأرباب التفسير كثيراً، فمنهم من حمل الحياة والموت على المعنى الحقيقي، ومنهم من حملهما على المجاز، بل حتى العلم الحديث لم يصل إلى إدراك حقيقة سرهما، ولا إلى معرفة سر التقاء الأرواح بالأجساد وانفصالها عنها، ومن نوازل القضايا المستجدة مع تطور الطبّ الحديث موت جدع الدماغ مع استمرار التنفس وعمل القلب، وتعد هذه المسألة من أهم المسائل النازلة في المجالات الحديثة، وقد ثار حولها خلاف كبير وجدال مستفيض ليس بين الفقهاء فحسب، بل شمل حتى الأطباء وسائر الناس، فلا بد من اطلاع الفقهاء على بعض ما يعرض للأطباء، وبيان وجهة نظرهم في ذلك، ولا بد للأطباء من اطلاعهم على آراء علماء الشريعة الذين لهم القدرة على الاستنباط الشرعي، وما يستمدون منه أحكامهم، ولا يزال هناك خلاف في القوانين الطبية الدولية حول هذه المسألة، فهناك بلدان تعتبر موت الدماغ دون القلب موتاً، فتجيز أنظمتها سحب أجهزة الإنعاش عن المريض ولو لم يأذن أهله، وهناك بلدان تعتبر هذا العمل إجراماً وتعد المريض حياً في هذه الحالة، فلا تجيز سحب الأجهزة عنه مطلقاً، فكم من حالات للمرضى أخطأ فيها الأطباء بعد أن قرروا موتهم في حين أنهم لا يزالون أحياء! وكم من مريض كفّن ووري في التراب ثم أفاق من غيبوبته وهو في القبر! والسؤال الذي يلح على الأذهان: هل موت الدماغ دون القلب يوجب الحكم بموت صاحبه أو لا؟

مفهوم الجمع بين الحياة والموت

أولاً-معنى الجمع:

الجمع لغة: مصدر قولك: جمعت الشيء إذا جئت به من ههنا وههنا[1]، ويطلق الجمع ويراد به: "ضم الشيء بتقريب بعضه من بعض، يقال: جمعته فاجتمع"[2]، قال تعالى: **﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾**[3]، وعند المحاسبين: زيادة عدد على عدد، وما حصل من تلك الزيادة يسمى مجموعاً، وعند الأصوليين والفقهاء: الجمع بين الأصل والفرع لعلة مشتركة ليصح القياس[4].

والجمع اصطلاحا: أن تجمع بين شيئين فأكثر في خبر واحد أو وصف واحد[5]؛ كأن تجمع بين شيئين متضادين، مثل: الضحك والبكاء، والبصر والسمع، كقوله تعالى: **﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾**[6]، وقوله تعالى: **﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾**[7]، وقوله تعالى: **﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾**[8]، وفي الحديث قوله-ﷺ-: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»[9]، وعبر عنه الزركشي، بالطباق؛ حيث ذكر: أن الطابق في الآية بين الضحك والبكاء، والقليل والكثير؛ وهو أن تجمع بين متضادين مع مراعاة التقابل؛ كالبياض والسواد، والليل والنهار[10].

وقد جمع الخطاب القرآني بين الحياة والموت، وتفنن في عرضه بأساليب مختلفة، غاية في الروعة والدقة، كل ذلك تحقيقاً لمصالح المخاطبين، وهو إن دلّ على شيء فإنما يدل على

حكمته تعالى وإعجاز كلامه الـذي لا يأتيه الباطل مـن بين يديه ولا من خلفه، فهو – جل شأنه – أحكم الحاكمين، يقول أحمد سحنون: "إن في الجمع بين الموت والحياة لحكمة سامية، فإن لكل منهما مسؤولية في أعناق الناس، فلا بد من العمل للحياة، التي خلقها الله؛ لأن نحياها كما أمر الله، ولا بد من العمل للموت الذي جعله الله باباً للحياة الأخرى التي يلقى فيها كل عامل جزاء ما قدمت يداه، وبالموت والحياة تتم الحكمة الإلهية من خلق الإنسان، وهو ابتلاؤه بطاعة الله، وامتحان سلوكه في الحياة وجزاؤه عليه بحسابه في أخراه"[11]، وبالتالي فإن الحكمة لا تقتصر علـى انفراد الخطاب بأحد هذه المتضادات، بل هـي إتقان الأمور وإحكامها، بأن تنزل جميع الأمور منازلها، فيوضع ما يفيد معنى الحياة والترغيب فيها موضعه، ويوضع معنى الموت والترهيب منه موضعه، أو يجمـع بينهمـا فـي خطاب واحد، كل ذلك بإحكام وإتقان، مراعاة لأحوال المدعوين، يقول أبو منصور الماتريدي: "خُلِقَ الحياة والموت ليتفكر فيهما المرء، ويعتبر بهما، فمن حسنت رغبته ورهبته حسن عمله، ومن لم يتفكر فيهما، ولم يعتبر بهما، ساء عمله، فالموت والحياة أنشئا مرغبين ومرهبين"[12].

وممـا سبـق يتضـح: أن الحكمة لا بد من اعتبارها عند الجمع بين الحياة والموت، بـل إن التوازن بينهما وعـدم الجنوح إلى الإفراط والتفريط هـو عين الحكمة، لذلك أكرم الله تعالـى البشرية بهذا الكتاب المعجز الـذي جاء بالمنهج الوسط الذي تجسدت فيـه ملامح الوسطية مـن حكمة واستقامة واعتدال، ومـن حكمـتـه تعالى فـي استمالة عبـاده إلـى الإسلام مـا ذكـره فـي كتابـه من الجمع بين الحياة والموت، اللذين يشبهان كفتي الميزان فـي لزوم توازنهما لتحقيق الغاية المقصـودة مـن استمـالة النـاس إلى الدين، فإذا لم يفد مفهوم الحياة بعض القلوب الغافلة، فـإن ذكر الموت يـأتي ليقرعها لتنتبه من غفلتها، ولا يزال المتدبر يستفيد من علوم القرآن ومعارفه ما يزداد به إيماناً، فبمجرد ما يتلو القرآن الكريم، ويتدبر معانيه يحصل له من أمور الإيمان خير كبير، فكيف إذا أحسن تأمله، وفهم مقاصده وأسراره؟

وبذلك نستيقن أن القرآن الكريم جاءنا تبياناً لكل شيء، وعرض لنـا تصاريف من صور الحياة والموت، جامعاً بين أوجههما بحكمة بالغة تليق بالحكيم الخبير، وهو أحكم الحاكمين.

ثانياً– معنى الحياة:

الحياة في اللغة: ضد الموت، وهي مصدر حيي يحيا حياة فهو حي، ويقال للجميع: حيّوا بالتشديد، قال تعالى: ﴿**وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ**﴾[13]، والحيّ من كل شيء: نقيض الميت، ويقال: لا يزال على قيد الحياة لمن لا يزال حياً، والحيّ من النبات: ما كان طرياً يهتز[14]، ومنه الحياة والحيوان، ويسمى المطر حياً؛ لأن به حياة الأرض[15].

الحياة في الاصطلاح:

لطالما أشكل على بعض الناس التمييز بين الكائنات الحية والجمادات، وينبغي أن يرفع هذا اللبس، ولعل الفخر الرازي قد تنبه إلى هذا الإشكال حين بين الخلاف في إطلاق لفظ الموت على الجماد بقوله: "اختلف في أن إطلاق اسم الميت على الجماد حقيقة أو مجاز، والأكثرون على أنه مجاز لأنه شبه الموات بالميت وليس أحدهما من الآخر بسبيل؛ لأن الميت ما يحل به الموت، ولا بد وأن يكون بصفة من يجوز أن يكون حياً في العادة، فيكون اللحمية والرطوبة"[16].

ويطلق على العلم الذي يهتم بدراسة الحياة اسم علم الأحياء، وحينما يتعلق الأمر بـهذا العلم، فإن المختصين به قد وجدوا صعوبات في تعريف الحياة، وبالتالي ركزوا بعمق على فهم الحياة عن طريق دراسة الكائنات الحية نفسها[17]، وقد أشار الطاهر بن عاشور إلى هذه القضية فقال: "تعسر تعريف الحياة أو تعريف دوامها على الفلاسفة المتقدمين والمتأخرين تعريفاً حقيقياً بالحد"[18].

وحينما نتكلم عن الحياة علمياً نجد أن الاختيار الأمثل لمعناها: هو قيام المخلوق الحي بالوظائف الحيوية الضرورية لحفظ نفسه، كالتكاثر، والنمو، والتغذية، والحركة، والتنفس، والإخراج، ومدى الاستجابة للمؤثرات الخارجية[19]، "والحياة حقيقة في القوة الحساسة، أو ما يقتضيها، وبها سمي الحيوان حيواناً مجازاً في القوة النامية؛ لأنها من طلائعها ومقدماتها، وكذا فيما يخص الإنسان من العقل والعلم والإيمان من حيث إنه كمالها وغايتها"[20].

أما المتقدمون فتفاوتت أقوالهم في مفهوم الحياة، وكل قال بضرب من الاجتهاد بإدلاء رأيه في معناها، فهذا الكفوي يعرفها بأنها: "عبارة عن قوة مزاجية تقتضي الحسّ والحركة"[21]، وعرفها الجرجاني بأنها: "صفة توجب للموصوف بها أن يعلم ويقدر"[22]، واختار الطاهر ابن عاشور في تعريفها – بعد أن ساق الخلاف في تحديد معناها – ما نصه: " أوضح تعاريفها بالرسم: أنها قوة ينشأ عنها الحسّ والحركة، وأنها مشروطة باعتدال المزاج والأعضاء الرئيسية التي بها تدوم الدورة الدموية"[23]، وعرفها الشعراوي بأنها: "إعطاء المادة ما يجعلها متحركة حساسة مريدة مختارة"[24].

أما مجمع اللغة العربية بالقاهرة فعرفها بأنها:" مجموع ما يشاهد في الحيوانات والنباتات من مميزات تفرق بينها وبين الجمادات، مثل التغذية والنمو والتناسل"[25]، ومن هنا يمكن

الخروج بمختصر جامع من مجموع الأقوال السابقة؛ وهو أن الحياة تعلق الروح بالبدن واتصالها به.

ثالثاً–معنى الموت:

الموت لغة: خلاف الحياة، يقال: مات يموت فهو ميّت وميْت، ويراد به من فارقته الحياة؛ أي الشخص الذي مات حديثاً وفارقت الروح جسده، ويجمع على موتى وأموات، يقال: قوم موتى وأموات[26]، يقول ابن فارس: "الميم والواو والتاء أصل صحيح يدل على ذهاب القوة من الشيء، ومنه الموت خلاف الحياة"[27]، وأصل الموت في اللغة: السكون، وكل ما سكن سمي ميتاً، يقال: ماتت الريح أي سكنت، وسمي النوم موتاً لأنه يزول معه العقل والحركة، والموات: الأرض التي لم تزرع ولم تعمر، يقال: ماتت الأرض: أي خلت من العمارة والسكان ولا جرى عليها ملك أحد، وإحياؤها مباشرة عمارتها[28]، ويرد لفظ الموت بعدة أسماء، منها: الوفاة، والمنون، والحِمَام، والردى، والحتف، والهلاك[29]، فبالرغم من تعدد أسماء الموت، إلا أنها تؤدي إلى معنى واحد.

الموت اصطلاحاً:

يعرف الموت اصطلاحاً بأنه: انقطاع تعلّق الروح بالبدن، ومفارقتها للجسد[30]، ومعنى مفارقتها للجسد: "انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها"[31]، ويؤكد شارح الطحاوية بعد عرضه الخلاف في هذه المسألة فيقول: "الصواب أن يقال: موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها"[32]، ويعرف ابن قدامة المقدسي الموت فيقول: "الموت: انقطاع تصرف الروح عن البدن، وخروج البدن عن أن يكون آلة لها، وسلب الإنسان عن أمواله وأهله بإزعاجه إلى عالم آخر لا يناسب هذا العالم"[33]، وعرفه الجرجاني وغيره بأنه: "صفة وجودية خلقت ضداً للحياة"[34]، وعرفه الصاوي المالكي بقوله: "الموت كيفية وجودية تضاد الحياة فلا يعرى الجسم عنهما، ولا يجتمعان فيه"[35]، وعرفه القرطبي بأنه: "انقطاع تعلّق الروح بالبدن ومفارقته وحيلولة بينهما، وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار"[36].

وعلى هذا فليس الموت فناءً وانقطاعاً بالكلية عن الحياة، وإنما انتقالٌ من حال إلى حال، ومن دار إلى دار، يقول أبو بكر بن العربي: "حققنا أن الموت ليس بعدم محض، ولا فناء صرف، وإنما هو تبدل حال، وانتقال من دار إلى دار، والروح إن كان جسماً فينفصل بذاته عن الجسد، وإن كان عرضاً فلا بد من جزء من الجسد يقوم به يفارق الجسد معه"[37].

أما التعريف العلمي للموت فهو موت جذع الدماغ، وعند الأطباء: "توقف القلب والدورة الدموية والتنفس توقفاً لا رجعة فيه"[38]، وهو ما بينه الطاهر بن عاشور حين عرف الموت بقوله: "الموت هو وقوف حركة القلب وتعطيل وظائف الدورة الدموية، فإذا حصل عن فساد فيها لم تعقبه حياة إلا في يوم إعادة الخلق... وإذا حصل عن حادث قاهر مانع وظائف القلب من عملها كان للجسد حكم الموت في تلك الحالة، لكنه يقبل الرجوع إن عادت إليه أسباب الحياة بزوال الموانع العارضة، وقد صار الأطباء اليوم يعتبرون بعض الأحوال التي تعطل عمل القلب اعتبار الموت، ويعالجون القلب بأعمال جراحية تعيد إليه حركته"[39]، وأول ما يحصل في هذه الأثناء هو خورج الروح من الجسد، وبعدها يتصلب الجسد فيصبح كالحمإ المسنون، ثم يتعفن فيصبح كالصلصال، ثم يتبخر الماء الذي فيه فيعود تراباً، وفي الظروف العادية يسبق الموت علامات تنبئ بقدومه؛ وهو ما يسمى بحالة الاحتضار، ومن هذه العلامات: شخوص البصر، واسترخاء القدمين، إلى توقف ضخ الدم المحمل بالأكسجين إلى بقية الأعضاء[40]، وقد أرشدت السنة النبوية إلى أمارة دالة على مفارقة الروح للبدن، وهي شخوص البصر؛ ففي الصحيح قوله –ﷺ–: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ»[41].

وواضح أن التعريف من هذا الجانب يستند إلى خبرة بشرية بجانبيها الفقهي والطبي، فالفقهاء تناولوا قضيتي الموت والحياة في مباحث عدة، كالجنائز، والميراث، والجنايات، والجهاد، وقفوا عليها من خلال التجربة واستقراء الحوادث، وبالتالي احتاجوا إلى التمييز بين الحياة والموت بعلامات تظهر على الجسد، وغالباً ما ينبهون عند الاحتضار إلى المسارعة في تجهيز الميت إذا تيقن موته، وإن اشتبه أمره اعتبر بظهور أمارات الموت، ويؤكد سيد سابق هذا الأمر استناداً إلى الطب فيقول: "لابد من تحقق الموت بواسطة الأطباء وغيرهم من العارفين المشهود لهم في المعرفة، ولا سيما من توقع أن يغمى عليه"[42]، والواقع أن قضية الموت تبقى عرضة للأخذ والرد، فكم من حالات للمرضى أخطأ فيها الأطباء بعد أن قرروا موتهم في حين أنهم لا يزالون أحياء!! وكم من مريض كفن ووري في التراب ثم أفاق من غيبته وهو في القبر!![43]، وقد أثبتت بعض التجارب في الطب أن من الناس من يبقى حياً زمناً طويلاً، لكنه يكون فاقد الحس والشعور، وهو ما يسمى بـــ(السبات)، يقول المراغي: "دلت تجارب الأطباء في العصر الحديث على أن من الناس من يبقى حياً زمناً طويلاً لكنه يكون فاقد الحسّ والشعور، وهو المسمى لديهم بالسبات؛ وهو النوم المستغرق، ويستعمله أهل الرياضيات في الهند، فقد شوهد شاب قد نام نحو شهر ثم أصيب بدخل في عقله، وآخرون ناموا أكثر من ذلك، ومتى ثبت هذا فالذي يحفظ الأجسام مثل هذه المدة قادر أن يحفظها مائة سنة وثلاثمائة سنة"[44].

ويرى الأطباء المعاصرون: أن ظاهرة الموت تمر بثلاث مراحل:

الأولى: توقف القلب والتنفس.

الثانية: موت الأعضاء، حيث يسري الموت في أعضاء الجسم على مراحل تتفاوت من عضو إلى عضو.

الثالثة: موت جميع خلايا البدن، وهو ما يعرف بالموت الخلوي[45].

ومن هنا وقع الخلاف في مسالة مفادها: هل يعتبر موت الدماغ دون القلب موتاً؟ وذلك على قولين:

القول الأول: لا يعتبر موت دماغ الشخص دون قلبه موتاً، بل لابد من توقف القلب عن النبض حتى يحكم بموت الإنسان.

القول الثاني: يعتبر موت دماغ الشخص دون قلبه موتاً حقيقياً، ولا يشترط توقف القلب عن النبض حتى يحكم بموت الإنسان.

واتفق كل من الفريقين على أنه لو مات الدماغ، وتوقف القلب عن النبض فإن الشخص يعتبر ميتاً[46].

واتفق الفقهاء والأطباء على أن الغيبوبة وتوقف الدماغ ليس موتاً، ولا شك في أن الحكم باعتبار المريض في هذه الحالة حياً فيه محافظة على النفس، وذلك يتفق مع هذا المقصد العظيم من مقاصد الشريعة الإسلامية.

وبعد هذا العرض من تعريفي الحياة والموت والخلاف في حقيقة الموت، نستخلص أن الحياة والموت لفظان متناقضان متغايران، كالعلم والجهل، والسواد والبياض، ومعاجم اللغة تُعرِّف كلاً منهما بأنه نقيض الآخر، لأن أصل الموت في لغة العرب: السكون، وإذا كان السكون أصل الموت في اللغة، فإن الحركة أصل الحياة التي هي عرض يحيا به الإنسان وسائر الحيوانات، ولا يقدر عليه إلا الله تعالى.

أوجه الحياة والموت

أولاً- معنى الأوجه:

الأوجه في اللغة: جمع لكلمة (وجه)، ويجمع على: أوجه، ووجوه[47]، "وأصل الوجه الجارحة"[48]؛ وهي الجزء الأعلى من الإنسان، الذي فيه العينان والأنف والفم والجبهة والخدان والذقن، ويقال للقصد وجه، وللمقصد جهة، أو على الاستعارة للمذهب والطريق[49]، "يقال: هذا وجه الرأي، أي هو الرأي نفسه"[50]، ويقال: "صرفت الشيء عن وجهه، وليس لكلامك هذا وجه: أي صحة"[51]، أي ليس له دليل يستند عليه.

الوجه اصطلاحاً: هو المعنى المجازي للوجه، كالمذهب والطريق، كما يقال: ذهب فلان في وجه كذا، أي: في مذهب كذا، أو في طريق كذا، يقول الراغب: "لمّا كان الوجه أول ما يستقبلك، وأشرف ما في ظاهر البدن استعمل في مستقبل كل شيء وفي أشرفه ومبدئه فقيل: وجه كذا، ووجه النهار"[52]، ويعبر عن صاحب النفاق بذي الوجهين، لأنه يظهر ما لا يبطن، كما وصفه النبي -ﷺ- بقوله: «تَجِدُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ ذَا الوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ، وَهَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ»[53]، وعلى هذا فإن الكلام الموجه ما يحتمل أمرين[54]، وعليه فإن الحياة والموت لفظان مشتركان مستعملان في اللغة على أوجه متعددة؛ وكل واحد من أوجه الحياة يقابله واحد من أوجه الموت؛ كالوجود والعدم، والحركة والسكون، ومقارنة النفس الحيوانية الأجسام ومفارقتها إياها، والهدى والضلال، والخصب والجدب، واشتعال النار وخمودها[55].

ثانياً- أوجه الحياة:

ذكر أهل التفسير أن الحياة في القرآن على ستة أوجه:

الأَوّل: للقوّة النَّامية الموجودة في النبات والحيوان، ومنه قيل: نبات حَيّ، قال تعالى: **﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾**[56].

الثَّاني: للقوّة الحسّاسة، وبه سمّي الحيوان حيواناً، قال تعالى: **﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾**[57]، وقوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى﴾**[58]، فقوله (إِنَّ الذي أَحْيَاهَا) إشارة إلى **القوة** النَّامية، وقوله (لَمُحْيِ الموتى) إشارة إلى القوّة الحسّاسة.

الثالث: للقوّة العاملة العاقلة كقوله تعالى: **﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾**[59].

الرّابع: عبارة عن ارتفاع الغَمِّ، وعلى هذا قوله تعالى: **﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾**[60]، أي هم متلذّذون، لما روى في الصّحيح من بيان أَرواح الشهداء، وهو قوله -ﷺ-: «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً»[61].

الخامس: الحياة الأُخروية الأَبديّة، وذلك يتوصّل إليه بالحياة الَّتي هي العقل والعلم، وقوله تعالى: **﴿يَقُولُ يَالَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾**[62]، يُعْنى به الحياة الأُخرويّة الدّائمة.

السّادس: الحياة الَّتي يوصف بها البارئ تعالى، فإنَّه إذا قيل فيه تعالى: هو حيّ فمعناه: لا يصح عليه الموت، وليس ذلك إلاَّ لله تعالى[63].

ثانياً-أوجه الموت:

يقع الموت على أنواع بحسب أنواع الحياة، فمنها ما هو بإزاء القوة النامية الموجودة في الحيوان والنبات، ومنها زوال القوة الحسية، ومنها زوال القوة العاقلة، وهي الجهالة، ومنها

الحزن والخوف المكدر للحياة، ومنها: المنام[64]، وقد ذكر بعض المفسرين أن لفظ الموت في القرآن على سبعة أوجه:

الأول: الموت نفسه، ومنه قوله تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾[65]، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ**﴾[66]، وقوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ**﴾[67].

الثاني: حال النطفة قبل انتقالها، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ**﴾[68]، وقوله تعالى: ﴿**قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ**﴾[69]، فالموتة الأولى كونهم نطفاً.

الثالث: الضلال، ومنه قوله تعالى:﴿**أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ**﴾[70]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ**﴾[71].

الرابع: الجدب، ومنه قوله تعالى: ﴿**فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**﴾[72]، وقوله تعالى: ﴿**وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا**﴾[73]، وكل بلد ميت في القرآن فالمراد به الأرض المجدبة.

الخامس: الحرب، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ**﴾[74].

السادس: الجماد، ومنه قوله تعالى: ﴿**أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ**﴾[75]، يعني الأوثان.

السابع: الكفر، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ**﴾[76]، فالميت ها هنا الكافر[77].

أقوال العلماء في الحياة والموتش

أفاض العلماء في الحديث عن ظاهرتي الحياة والموت، محللين هذين اللفظين، ومبينين مفهوميهما، وتجد كثيراً منهم ينبهون على استحباب ذكر الموت بالأخص وتدبر معناه، لما فيه من موعظة بالغة ووقر في القلوب، ولعلهم بذلك قد امتثلوا قوله ﷺ: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ»[78]؛ يعني الموت، وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- أنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ، فجاءه رجل من الأنصار، فقال: يا رسول الله، أيّ المؤمنين أفضل؟ قال: «أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»، قال: فأيّ المؤمنين أكيس؟ قال: «أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا، وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا، أُولَئِكَ الْأَكْيَاسُ»[79]، فقد وضحت السنة هذا الجانب، وتحدث الفقهاء عنه في باب الجنائز منبهين على هذا الأمر.

وهنا نعرض جملة من أقوالهم، يتضح من خلالها التنبيه على استحباب ذكر الموت، يقول ابن قدامة: "يستحب للإنسان ذكر الموت والاستعداد له"[80]، ويقول الخطيب الشربيني: "ليكثر ذكر الموت ويستعد بالتوبة ورد المظالم، والمريض آكد"[81]، ويقول البهوتي الحنبلي: "يسن الإكثار من ذكر الموت والاستعداد له بالتوبة من المعاصي والخروج من المظالم"[82].

ومن هنا يظهر أن الموت ما منه ملاذ ولا مهرب، ولو نجا منه أحد لنجا منه خيرة الله من خلقه -ﷺ-، قال تعالى: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ**﴾[83]، وقد واسى الله رسوله بأن الموت سنته في خلقه فقال: ﴿**وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ**﴾[84].

ومن مجموع ما تقدم نفهم أن ظاهرتي الحياة والموت من آيات الله في خلقه، فقد قضت حكمته تعالى أن يقرن الموت بالحياة، وأن يصله بها، مع اختلاف مدة الحياة التي يحياها الكائن الحيّ، ولو تأملنا أدنى تأمل في ظاهرة الموت على وجه الخصوص، لوجدنا من الناس من يموت جنيناً، ومنهم من يموت شاباً، ومنهم من يموت شيخاً، ومنهم من يمتدّ به الأجل حتى يبلغ من العمر أرذله، وقد يحصل الموت فجأة دون احتضار، مثل موت الفجاءة والكوارث والحوادث المميتة.

وهنا يجدر بنا أن نشير إلى مؤشر واضح المعالم والدلالات، على أن النهاية هي الموت، ولا يموت الإنسان إلا بانقضاء أجله، ولا تموت أية نفس إلا بإذن الله، قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا**﴾[85]، يقول سيد قطب: "تكثر الإشارة في القرآن إلى آيتي الحياة والموت، لأنهما تلمسان قلب الإنسان بشدة وعمق، ثم لأنهما الظاهرتان البارزتان المكررتان في كل ما يقع عليه حسّ الإنسان، وللإحياء والإماتة مدلول أكبر مما يبدو لأول مرة، فالحياة ألوان، والموت ألوان"[86]، ويقول ابن عطية: "الموت والحياة معنيان يتعاقبان جسم الحيوان يرتفع أحدهما بحلول الآخر"[87].

والله تعالى كتب الموت والحياة على عباده، وقدرهما آجالاً، وهو وحده المتصرف فيهما، وكل عبد له آجال مكتوبة في الحياة والموت، فعن مجاهد في قوله تعالى: ﴿**يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾[88]، قال: "إلا الحياة والموت والسعادة والشقاوة فإنّهما لا يتغيَّران"[89].

ومن خلال جريان هذا القانون على وجود الإنسان الذي يشارك النبات في مسيرة التطّور، فإن عجلة الموت والحياة لا تزال تدور إلى أن تفنى الخلائق وتقوم الساعة، ولم يصل العلم الحديث إلى إدراك حقيقة سرهما، ولا إلى معرفة سر التقاء الأرواح بالأجساد وانفصالها عنها، يقول أبو حامد الغزالي: "لا يمكن كشف الغطاء عن كنه حقيقة الموت إذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحياة، ومعرفة الحياة بمعرفة حقيقة الروح في نفسها وإدراك ماهية ذاتها"[90]، ويقول ابن القيم: "موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت وإن أريد أنها تعدم وتضمحل وتصير عدما محضا فهي لا تموت بهذا الاعتبار بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في

عذاب"[91]، ويقول القاشانيّ: "الموت والحياة من باب العدم والملكة، فإن الحياة هي الإحساس والحركة الإرادية ولو اضطرارية كالتنفس، والموت عدم ذلك عما من شأنه أن يكون له"[92].

تلازم الحياة والموت في سورة البقرة

معنى التلازم:

التلازم لغة: اللصوق بالشيء وعدم الانفكاك عنه، يقال: لزم الشيء لزوماً وملازمة: لصق به ولم يفارقه، ورجل يلزم الشيء: لا يفارقه[93]، وقيل: هو طول مكث الشيء مع غيره[94]، ومنه قوله تعالى: **﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾**[95]، والمعنى: سيكون العذاب لازماً لكم لا يفارقكم[96].

وفي الاصطلاح: "اللازم ما يمنع انفكاكه عن الشيء"[97]، يقول السمين الحلبي: "التلازم هو: عدم الانفكاك عن الشيء والتقصي من الشيء"[98].

يفهم من المعنيين اللغوي والاصطلاحي: أن التلازم يعني المصاحبة للشيء واللصوق به، وعدم الانفكاك عنه، وعدم مفارقته؛ كالمريض الذي ينصحه الطبيب بملازمة فراشه أي عدم مفارقته له؛ لأن المصاحبة تقتضي الملازمة للشيء، وهو ما يؤكده الفخر الرازي بقوله: "المصاحبة تقتضي الملازمة، كما يقال: أصحاب الصحراء أي الملازمون لها"[99]، ويقول في موضع آخر: "المصاحب للشيء هو الملازم له الذي لا ينفك عنه"[100].

يستنتج من عرض هذه الأقوال: أن العلاقة بين المتلازمين هي علاقة النظير بنظيره أو الضد بما يضاده، ويذكر الزركشي: أن فائدة علاقة التلازم بين النظيرين والضدين هي جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، مما يقوي ذلك الارتباط الذي بينهما[101]، وكثير ما يدور التلازم بين الآيات دوران العلة والمعلول، فإن لم تتلاق ويستلزم بعضها بعضاً تقابلت تقابل الأضداد؛ كذكر الموت بعد ذكر الحياة، فالحياة والموت متلازمان، أو ذكر الرحمة بعد ذكر العذاب، أو وصف الجنة بعد وصف النار[102]، فلا يكاد يذكر معنى للحياة في القرآن الكريم إلا ويستتبعه معنى للممات، للدلالة على الارتباط الوثيق بينهما، وقد أدرك كثير من العلماء هذا الارتباط والتلازم بين ذكر الحياة مع ذكر الموت، ولعل الشهاب الخفاجي قد تنبه إلى هذا المعنى حين رأى أن: "شرط تضاد الحياة والموت اجتماعهما في محل وأحد"[103]، وهو ما يؤكده سيد قطب بقوله: "الموت والحياة أمران مألوفان مكرران"[104]، ويقول ابن القيم: "ثبت بصريح العقل أن الأمرين المتقابلين إذا كان أحدهما صفة كمال والآخر صفة نقص فإن الله سبحانه يوصف بالكمال منهما دون النقص، ولهذا لما تقابل الموت والحياة وصف بالحياة دون الموت ولما تقابل العلم والجهل وصف بالعلم دون الجهل"[105]، وتحدث بعض المفسرين عن ارتباط الحياة بالموت في سياق تفسير سورة بعينها، أو في آيات معينة، وذكروا: أن الموت والإحياء معهودان في أسلوب القرآن، وإطلاق الحياة يكون على الحالة المعنوية الشريفة في الأشخاص والأمم، والموت على مقابلها معهود[106].

ومن هنا يتضح تلازم الحياة والموت في القرآن الكريم، وترتيب هذه الآيات حسب تدرجها وتسلسلها، إلى ذلك التداخل العجيب بين الحياة والموت، وهكذا تقرر الآيات حقيقة الموت والحياة، حيث تكررت مادة الحياة ومشتقاتها، ومادة الموت ومشتقاتها (165) مرة، تكرراً بالتساوي مبسوطاً في آيات متفرقة[107]، وورد لفظ (الحياة) في القرآن في (71) موضعاً، بينما ورد لفظ (الموت) في (35) موضعاً[108]، ومن أمثلة الآيات التي جمعت بين الحياة والموت، وتلازم فيها كل من هذين اللفظين ما يلي:

1. قوله تعالى: **﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾**[109].
2. قوله تعالى: **﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾**[110].
3. قوله تعالى: **﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾**[111].
4. قوله تعالى: **﴿إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾**[112].
5. قوله تعالى: **﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾**[113].
6. قوله تعالى: **﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾**[114].
7. قوله تعالى: **﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾**[115].

وتأتي هذه النصوص لتثبيت المعايير الإيمانية في مفهوم الحياة والموت، كما أخبر تعالى أن له ملك السماوات والأرض وأنه هو المحيي المميت فقال: **﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾**[116]، فالإنسان خلقه الله تعالى، ثم سواه ونفخ فيه من روحه حتى دبّت فيه الحياة، والله تعالى قادر على أن يُفقده أسباب الحياة بأيّ سبب أراده، فتبطل آثارها، ثم يعود الجسم إلى أصله، وهو الماءُ والتراب، ولقد قرر القرآن أن الله خلق الموت والحياة، وخلق الناس ليبلوهم أيّهم أحسن عملاً، قال تعالى: **﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾**[117].

وقد يأتي في القرآن الكريم إطلاق الحياة والموت على الأمور المعنوية، وهو ما يؤكده صاحب المنار بقوله: "إطلاق الحياة على الحالة المعنوية الشريفة في الأشخاص والأمم، والموت على مقابلها معهود"[118]، فكثيراً ما يستعار لهما نحو قوله تعالى:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[119]، وأحياناً يوصف المؤمنون بالأحياء، والكافرون بالأموات، وأنهم لا يستوون، كما في قوله تعالى:**﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾**[120]، ومرات يأتي إطلاق لفظ الموت على الجمادات، قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾**[121].

ومن القوادح العقدية المتعلقة بآيات الحياة والموت نسبة الإحياء والإماتة إلى الدهر، قال تعالى مخبراً عن حال المشركين: **﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾**[122]، ثم بين تعالى في نفس الآية شناعة قولهم وبيان كذبهم فقال: (وما لهم به من علم)، ثم بين أن الإحياء والإماتة بيده وحده، وأنه هو الذي يحيي ويميت، رداً على هؤلاء الدهريين الذين ينسبون الحياة والموت للدهر وينفون وجود الخالق، قال تعالى: **﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾**[123].

تعريف السورة:

السورة: قطعة من القرآن معينة بمبدأ ونهاية لا يتغيران، مسماة باسم مخصوص، تشتمل على ثلاث آيات فأكثر ترتكز عليها معاني آيات تلك السورة، ناشئ عن أسباب النزول، أو عن مقتضيات ما تشتمل عليه من المعاني المتناسبة.

وتسمية القطعة من عدة آيات القرآن بالسورة من مصطلحات القرآن، قال تعالى: **﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾**[124]، كما أن تسوير القرآن من السنة في زمن النبوة، فقد كان -ﷺ- إذا نزل عليه شيء من الآيات دعا بعض من كان يكتب فيقول: «ضَعْ هَذِهِ الْآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا، كَذَا وَكَذَا»[125]، وفي الصحيح أن رجلاً سأل النبي -ﷺ- أن يزوّجه امرأة فقال له -ﷺ-: «مَاذَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ؟» قال: سورة كذا وسورة كذا لسور سماها، فقال: «قَدْ زَوَّجْنَاكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ»[126].

وأسماء السور في القرآن إما أن تكون بأوصافها مثل: الفاتحة وسورة الحمد، وإما أن تكون بالإضافة لشيء اختصت بذكره نحو: سورة البقرة، وسورة لقمان، وإما بالإضافة لكلمات تقع في السورة نحو: سورة براءة، وسورة حم السجدة، ومن سور القرآن ما كان لها اسمان فأكثر، وقد يوضع اسم لجملة من السور: كالزهراوين للبقرة وآل عمران، والسبع الطوال؛ وهي من البقرة إلى الأعراف، والمفصل، لكثرت الفصل بين آياته بالبسملة، والمعوذات: وهي الإخلاص، والفلق، والناس[127].

التعريف بسورة البقرة:

سميت سورة البقرة في جميع المصاحف وكتب السنة والتفسير بهذا الاسم، ووجه تسميتها: أنها تفردت بذكر قصة موسى -عليه السلام- مع بني إسرائيل في شأن البقرة التي أمر الله بني إسرائيل بذبحها، حيث أوحى الله إلى نبيه موسى أن يأمر بني إسرائيل بذبح بقرة وضرب قتيل بجزء منها، فتعود إليه الحياة بأمر الله، ويكشف بهذه الطريقة عن هوية القاتل[128]، وهي من القصص القرآني الذي انفردت السورة بذكره، وكان فيها من العبر للمتشدّدين، فلو بادروا إلى ذبح أيّ بقرة لأجزأتهم، ولكنهم تشدّدوا في تعرّف صفاتها، فكانوا كلّما طرحوا سؤالاً زيدوا تشديداً حتّى صارت البقرة نادرة، وإلى هذه القصة تشير الآيات الواردة في قوله تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾**[129].

وسورة البقرة أطول سور القرآن، حيث استغرقت جزأين ونصفاً من ثلاثين جزءاً من القرآن الكريم، ولا نظير لها في عدد آيها، وهي أول سورة نزلت بالمدينة بعد هجرة النبي -ﷺ-، وهو ما روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، وروي عن الحسن، ومجاهد، وجابر بن زيد، وقتادة، ومقاتل، وقال عكرمة: «أول سورة أنزلت بالمدينة: سورة البقرة»[130]، وحكى ابن حجر الاتفاق على ذلك[131]، وأما عدد آياتها فمائتان وخمس وثمانون (285) آية عند أهل العدد بالمدينة ومكة والشام، ومائتان وست وثمانون (286) آية عند أهل العدد بالكوفة، وهو المعتمد في أكثر المصاحف المطبوعة، ومائتان وسبع وثمانون (287) آية عند أهل العدد بالبصرة، وكلماتها: (6121) كلمة، وحروفها: (25500) حرفاً[132].

أغراض السورة وفضائلها:

لا يخفى أن فضل سورة البقرة عظيم وثوابها جسيم، وذلك لعظمها وبهائها، وكثرة أحكامها ومواعظها، حتى ورد أن عمر -رضي الله عنه- بقي في تدبرها وفهم معانيها وما تحتوي عليه من العلوم اثنتي عشرة سنة، وتعلمها ابنه عبد الله في ثماني سنين[133]، وورد في فضلها أحاديث كثيرة، منها قوله -ﷺ-: «اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ»[134]، وفي الصحيح قال -ﷺ-: «الْآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ»[135]، وعن النواس بن سمعان قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَآلُ عِمْرَانَ»[136]، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ

يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»[137]، وعنه أيضاً –ﷺ–، قال: قال رسول الله –ﷺ–: «لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامٌ، وَإِنَّ سَنَامَ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَفِيهَا آيَةٌ هِيَ سَيِّدَةُ آيِ الْقُرْآنِ، هِيَ آيَةُ الْكُرْسِيِّ»[138].

وأما عن أغراضها فتعددت الموضوعات التي اشتملت عليها هذه سورة؛ حيث ابتدئت بالحروف المقطعة (ألم)، تحدياً لمن أنكر معجزة القرآن، وبعد التحدي بالحروف أقام الدليل على تنزيل القرآن من عنده بتحدّيهم أن يأتوا بسورة من مثله، وأمرهم أن يدعوا في ذلك آلهتهم ليعينوهم على الإتيان به، فهم أهل اللسان العربي على وجه السليقة، ارتضعوه من أفواه آبائهم، وتنفسوه في بيئتهم العربية، لكنهم عجزوا عن معارضته مع طول باعهم في الفصاحة والبيان، فكان غيرهم من باب أولى.

وتناولت آياتها مقاصد عظيمة، وهي تتحدث في مجملها عن ثلاث فرق: فرقة المؤمنين، وفرقة الكافرين المشركين، وفرقة المنافقين، ومن ثم بينت موقف أهل الكتاب من المؤمنين، وبالتالي فإن تقرير العقيدة يقتضي التحدث عن صفات المؤمنين والكافرين والمنافقين، لعقد مقارنة بين هذه الفرق، وتذكيرها بنعمة الخلق لعلهم يعتبرون، ونبهت بعد ذلك إلى عناية الله تعالى بخلافة البشر في الأرض ليعبده ويعمروا الأرض، وصورت تلك الآيات مشاهد بدء الخليقة وتكريم آدم بسجود الملائكة له، وما حدث معه وزوجه في الجنة، ثم الهبوط إلى الأرض، وعرضت القصص القرآني وأثره، ومن أكثره قصص بني إسرائيل، لأنهم أكثر الأمم نعماً، وأشدهم عصياناً وكفراً، وفيها عرض لقصة إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام– في بناء الكعبة بمكة؛ لأنها أول بيت وضع للناس في الأرض، وجاء بعد ذلك ذكر يبين اختبار الناس بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة.

كما أنها حتوت أكبر جزء من التشريع والأحكام الفقهية، فتضمنت أحكام الحج والعمرة، وأحكام قتال المشركين في الشهر الحرام والبلد الحرام، ونصت على أحكام القصاص في القتلى، وتحريم الخمر والميسر، ومعاملة اليتامى ومخالطتهم في المعيشة، وتنظيم شؤون الأسرة في الزواج والطلاق والرضاع والعدة والنفقات، والإيلاء من النساء، وعدم المؤاخذة بيمين اللغو، وإتيان النساء في المحيض، والمعاملات المالية المتعلقة بالربا وأحكام الديون والإشهاد والرهن، وانفردت السورة بآية عظيمة في العقيدة والأسرار الإلهية، وهي آية الكرسي، ومن خصائصها أنها حوت أطول آية فى القرآن؛ وهي قوله تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾**[139].

ونبهت في خواتيمها على الإيمان بالله تعالى، وجميع الرسل والملائكة، والكتب دون تفرقة بينهم، وختمت بالدعاء العظيم المشتمل على طلب اليسر، ورفع الحرج حال الغفلة والنسيان بألّا يؤاخذهم بنسيانهم أو خطئهم، ولا يحمل عليهم إصراً كما حمله على الذين من قبلهم، إلى أن بينت على لسانهم طلب النصرة على القوم الكافرين.

آيات الحياة والموت في سورة البقرة:

تعد سورة البقرة من أكثر سور القرآن الكريم عرضاً لظاهرتي الحياة والموت، فقد قررت أمر البعث بعد ما أشارت إليه سورة الفاتحة قبلها بـــ(يوم الدين)، فتكرر فيها ذكر الآخرة، والإحياء أخرى تارة في الدنيا وتارة في الآخرة، ويذكر بعض المفسرين: أنه يكثر في القرآن الكريم الاستدلال على البعث، ومن هذه البراهين: إحياء الله بعض الموتى في دار الدنيا، كما في سورة البقرة؛ لأن من أحيا نفساً واحدة بعد موتها قادر على إحياء جميع النفوس، وقد ذكر تعالى إحياء الموتى في سورة البقرة في خمسة مواضع[140].

وسورة البقرة في غالب آياتها تدعو إلى التأمل في ظاهرتي الحياة والموت اللتين هما من أشد الأمور تأثيراً في النفوس، فقد تلازم ذكر مادتي الحياة والموت ومشتقاتهما في عدة آيات وصلت في تعدادها إلى تسع آيات، وهنا نأتي على عرضها مرتبة، ومن ثم الاستدلال بجملة من أقوال المفسرين فيها، وهي على النحو التالي:

1– قوله تعالى: **﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾**[141].

جمعت الآية بين مادتي الحياة والموت بأُسلوب يقتضي التعجب من كفر من لا يعترفون بالبعث، ونبهت على صحة الحشر والنشر، وأنه لا يقدر على الإحياء والإماتة إلا الله تعالى، والمعنى كما بينه الطبري: "أحياكم بإنشائكم بشراً سوياً حتى ذُكرتم وعُرفتم وحَييتم، ثم يُميتكم بقبض أرواحكم وإعادتكم رُفاتاً لا تُعرفون ولا تُذكرون في البرزخ إلى يوم تبعثون، ثم يحييكم بعد ذلك بنفخ الأرواح فيكم لبعث الساعة وصَيحة القيامة، ثم إلى الله ترجعون بعد ذلك"[142].

2– قوله تعالى: **﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾**[143].

جمعت الآية بين الحياة والموت، وجاء ذكر مادة الموت صريحاً فيها، بينما عبرت عن الحياة بالبعث؛ فالبعث هنا: الإحياء، لأنه يوم يثار الناس فيه من قبورهم لموقف الحساب، وأما الموت هنا فظاهر في مفارقة الروح الجسد بقرينة ذكر البعث معه، ويخبر تعالى في الآية: أنه بعث طائفة من قوم موسى بعد أن أماتهم بإرسال الصاعقة عليهم، واختلف في بقاء تكليف من أعيد بعد موته، ومعاينة الأحوال المضطرة إلى المعرفة على قولين:

أحدهما: بقاء تكليفهم لئلا يخلو عاقل من تعبد. قال ابن العربي: ميتة العقوبة بعدها حياة، وميتة الأجل لا حياة بعدها

الثاني: سقوط تكليفهم معتبراً بالاستدلال دون الاضطرار.

ووصف تعالى يقظة أهل الكهف بعد نومهم بأنها بعث فقال: **﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾**[144]، فإذا كان تفسير الصاعقة بالموت المحقق هو الوجه الصحيح، فالبعث هنا إحياء من الموت، وإذا كان التفسير بالإغماء هو الصحيح، فالبعث يعني الإفاقة والوعي، وجمهور المفسرين أنه موت حقيقي، لكنها غير الموتة التي كتبت عليهم في الدنيا، ويرى بعض المفسرين: أن الله أحياهم بعد أن وقع فيهم الموت بالصاعقة وغيرها ليستوفوا بقية آجالهم وأرزاقهم، وقال آخرون: كان موتهم غشياناً رهموداً، لا موتاً حقيقياً، فلما أصابتهم الصاعقة صاروا كالأموات، ثم لمّا طلب موسى من ربه العفو، أجاب اللَّه تعالى فيهم رغبةَ موسى وأحياهم فأفاقوا من غَشيتهم ليشكروا الله الذي نجّاهم وعفا عنهم، ويرى آخرون أن موتهم هو جهلهم الذي كانوا فيه، وبعثهم: تعلمهم أحكام التوراة[145]، والمعنى علمناكم من بعد جهلكم، وفعلنا بكم ذلك لتشكروني على ما أوليتكم من نعمة البعث بعد الموت، ولعل المراد بالبعث: من خلفهم من ذراريهم وأبنائهم، وهذا ما ذكره محمد عبده حين رأى: أن المراد بالبعث هو كثرة النسل، أي أنه بعدما وقع فيهم الموت بالصاعقة وغيرها وظن أن سينقرضون بارك الله في نسلهم[146].

3- قوله تعالى: **﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾**[147].

من الواضح أن من دلائل النبوة المعجزات التي يجريها الله تعالى على أيدي رسله، إجابة لدعوتهم ونصرة لهم، فهي من أكثر المناظر إثارة، وأقوى أثراً وأبلغ حجة، لذلك عني القرآن الكريم بأنباء السابقين أيما عناية، ومن ذلك ما أخبرت به الآية عن قوم موسى -عليه السلام- حين أمرهم بضرب القتيل ببعض البقرة، فقام وأخبر بمن قتله، وصورت القصة مشاهد من واقعة الجريمة، والتنازع في القاتل، وتشريع الحكم لكشف الحقيقة بذبح البقرة، وما كان من إلحاحهم في السؤال على ما سبق، فضلاً عن معجزة الإحياء وما اشتملت عليه من الأمور البديعة من ترتب الحياة على الضرب بعضو الميت، وإخبار الميت بقاتله، يقول ابن كثير: "نبه تعالى على قدرته وإحيائه الموتى بما شاهدوه من أمر القتيل، جعل تبارك وتعالى ذلك الصنيع حجة لهم على المعاد، وفاصلاً ما كان بينهم من الخصومة والعناد"[148]، ويقول الأمين الشنقيطي: "أشار في هذه الآية إلى أن إحياء قتيل بني إسرائيل دليل على بعث الناس بعد الموت ؛ لأن من أحيا نفساً واحدة بعد موتها قادر على إحياء جميع النفوس"[149].

4- قوله تعالى: **﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾**[150].

جمعت الآية بين مادتي الحياة والموت بأسلوب فيه تعظيم لمنزلة الشهداء، فهي تخبر عن حقيقة حالهم مقررة أنهم أحياء في قبورهم حياة كريمة، وإن كانت غير مشاهدة، ونهت في الوقت ذاته أن يقال في شأنهم: **(أموات)**، "وهو تنبيه على أن حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات، وإنما هي أمر لا يدرك بالعقل بل بالوحي"[151]، يقول الطاهر بن عاشور: "أما حياة الذين قتلوا في سبيل الله فهي حياة مشتملة على إدراكات التنعم بلذات الجنة والعوالم العلوية والانكشافات الكاملة"[152]، والله تعالى جعل أرواح الشهداء في أجواف طير خضر، وقد وردت أحاديث تدل على حياة كريمة لهؤلاء الشهداء، منها قوله -ﷺ-: «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً»، فَقَالَ: فقال: هل تشتهون شيئا؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا[153].

5- قوله تعالى: **﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾**[154].

شرع تعالى القصاص لحكم ومقاصد سامية، فهو من أسباب الاطمئنان، ووسيلة إصلاح وإخلاء للمجتمعات من الفساد، "ولولا القصاص لفسد العالم، وأهلك الناس بعضهم بعضاً ابتداء واستيفاء، فكان في القصاص دفعاً لمفسدة التجرؤ على الدماء بالجناية وبالاستيفاء"[155]، وجاءت الإشارة في هذه الآية إلى ما في القصاص، تشريعاً وتنفيذاً، من نفع للحياة ذاتها، ولا ريب أن من علم أن القصاص له بالمرصاد كفّ نفسه عن ارتكاب جريمة القتل، فسلم ذاك من القتل وهذا من القصاص؛ لأن القصاص من الجناة حياة آمنة للأُمة، وتعليل لشرعيته وبيان لحكمته، يقول الطبري: "جعل الله هذا القصاص حياة، ونكالاً وعظة لأهل السفه والجهل من الناس، وكم من رجل قد هَمّ بداهية، لولا مخافة القصاص لوقع بها، ولكن الله حَجز بالقصاص بعضهم عن بعض؛ وما أمر الله بأمر قط إلا وهو أمر صلاح في الدنيا والآخرة، ولا نهى الله عن أمر قط إلا وهو أمر فساد في الدنيا والدين، والله أعلم بالذي يُصلح خَلقه"[156].

وقد أثر عن العرب كلمات تفيد معنى الآية كقولهم: (القتل أنفى للقتل)، وقولهم: (قتل البعض إحياء للجميع)، وقولهم: (أكثروا القتل ليقلّ القتل)، ولا جرم أن ما نطقت به الآية أبلغ نظماً، وأخصر عبارة، وهو ما نستبين من خلاله إعجاز التعبير القرآني، ودقته المتناهية التي لا يستطيع أن يصل إلى مستواها البشر، وقد تنبه البيضاوي إلى توصيف هذه التجليات، وأجاد في ذلك أيما إجادة حين تناول تفسير الآية بقوله: "كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده، وعرف القصاص ونكر الحياة، ليدل على أن في هذا الجنس من الحكم نوعاً من الحياة عظيماً، وذلك لأن العلم به يردع القاتل عن القتل، فيكون سبب حياة نفسين"[157]، ويقول صاحب المنار: "اشتهر أنها من أبلغ آي القرآن التي تعجز في التحدي فرسان البيان، ومن دقائق البلاغة فيها أن جعل فيها الضد متضمنا لضده وهو الحياة في الإماتة التي هي القصاص، وعرف القصاص ونكر الحياة للإشعار بأن في هذا الجنس من الحكم نوعا من الحياة عظيما لا يقدر قدره، ولا يجهل سره"[158].

6- قوله تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾[159]**.

حكى القرآن الكريم عن بعض الوقائع التي ذكر فيها إحياء الموتى، ومنها هذه الآية التي تناولت واقعة مضت ممن تقدم من الأمم السابقة في قوم خرجوا من أوطانهم، وقد دُعوا إلى الجهاد في سبيل الله وكانوا أُلوفاً في العدد، وكان خروجهم بهذه الكثرة فراراً من الموت، فقال لهم الله تعالى: موتوا، فماتوا جميعهم عقاباً لهم على فرارهم، فأدركهم قدر الله الذي خرجوا حذراً منه، ثم أحياهم بعد ذلك ليبين لهم أن الخوف من الموت لا يدفع الموت، وأن أمر الموت والحياة بيده تعالى، يقول ابن عطية: "اللازم من الآية أن الله تعالى أخبر نبيه محمداً -ﷺ- أخباراً في عبارة التنبيه والتوقيف، عن قوم من البشر خرجوا من ديارهم فراراً من الموت، فأماتهم الله تعالى ثم أحياهم، ليروا هم وكل من خلف بعدهم أن الإماتة إنما هي بيد الله لا بيد غيره، فلا معنى لخوف خائف ولا اغترار مغترر، وجعل الله تعالى هذه الآية مقدمة بين يدي أمره المؤمنين من أمة محمد بالجهاد"[160]، وعلى أي حال فقد وقع الموت والإحياء فعلاً، كما يدل عليه ظاهر الآية، ويؤكد المراغي حقيقة الموت والحياة المذكورين في الآية فيقول: "الموت والحياة واقعان على القوم في مجموعهم على ما عهد في أسلوب القرآن، إذ خاطب بنى إسرائيل في زمن التنزيل بما كان من آبائهم الأولين"[161].

7- قوله تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[162]**.

يخبر تعالى عن مناظرة في وجود الله تعالى جرت بين إبراهيم -عليه السلام- وملك ظالم يقال له: النمرود، وكان هذا الأخير قد أنكر وجود الله تعالى، وجاء التعليل في الآية عن محاجته بإتيانه الملك الذي أبطره وأورثه الكبر، فقال إبراهيم مناظراً له: ربي الذي يحيي ويميت، استدلالاً على إثبات الإله بالإحياء والإماتة، فما كان من النمرود إلا أن عارضه في الحجة بالعبارة دون فعل حياة أو موت، فقال فراراً من الإجابة: إذا كان ربك الذي يحيي ويميت فأنا أحيي وأميت، مموها بما فعله أنه إحياء وإماتة، ولما رأى إبراهيم مغالطته وتجاهله المقصود من معنى الإحياء والإماتة، جادله بأن الله يطلع الشمس من مشرقها، فهل لك أن تغيّر نظام طلوعها وغروبها إن كنت تدعي الألوهية وأنك تحيي وتميت كما يفعل رب العالمين! فأبهته بها وأرغمه بالحجة، وكان عجزه عن الفعل دلالة على كذبه، يقول ابن القيم: "تأمل ما في ضمن هذه المناظرة من حسن الاستدلال بأفعال الرب المشهودة المحسوسة التي تستلزم وجوده وكمال قدرته ومشيئته وعلمه ووحدانيته من الإحياء والإماتة المشهودين اللذين لا يقدر عليهما إلا الله وحده وإتيانه تعالى بالشمس من المشرق لا يقدر أحد سواه على ذلك وهذا برهان لا يقبل المعارضة بوجه"[163]، والمعنى: إن ربي الذي يعطى الحياة ويسلبها بقدرته وحكمته، هو الذي يطلع الشمس من المشرق، فهو المكوّن لهذه الكائنات بهذا النظام البديع، والسنن الحكيمة التي نشاهدها، فإن كنت تستطيع أن تفعل كما يفعل، فغيّر لنا شيئا من هذه النظم، فالشمس تطلع من المشرق فحوّلها وائت بها من المغرب[164]، "ومن المهم أن الآية تدخل في الحياة والموت كي لا نفهم أن إبراهيم إنما ترك المحاجة مع ذلك الذي حاجّه في أمر الموت والحياة هرباً من الكلام فيها"[165].

8- قوله تعالى: **﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[166]**.

تناولت الآية قصة عن الحياة والموت في قرية وأهلها، وتعد من الأدلة الواضحة على البعث والنشور والإحياء والإماتة، واختلف في هذا المار من هو؟ فقيل: إنه عزير، وقيل غيره، والشاهد أن رجلاً مر على قرية خالية من سكانها، وقد خربت، فلما رآها على تلك الحالة وقف متعجباً مما آل أمرها إليه، وأراد أن يعاين إحياء موتاها استعظاماً لقدرة الذي يحيي الموتى، فتساءل

قائلاً: كيف يرد الله الحياة إلى أهل هذه القرية بعد هذا الخراب؟ فجعل له الله تعالى آيات في نفسه وفي حماره وفي طعامه، فأماته مائة عام، وكان إبقاؤه ميتاً طيلة هذه المدة كافياً لأن يزول بدنه تماماً ويتلاشى، ثم أراد الله له الحياة بعد موته، وقال له بعد مبعثه كم من الوقت لبثت؟ فقال على التّقريب والتّخمين: لبثت يوماً أو بعض يوم، فأجيب: بل لبثت مائة عام، والقصد من السؤال إظهار عجزه التام، وليبين له قدرته على الإحياء، وفي إماتته مائة عام وإعادته حياً وإبقاء الطعام والشراب على حالهما، وإعادة الحمار إلى الحياة أكبر الآيات التي يهتدى بها من يشاهدها، ولما شاهد ما ظهر له من الآيات عياناً وعلم قدرة الله تعالى وبعثه الأموات، قال: أعلم أن الله قدير لا يستعصى عليه أمر، فالقادر على هذا الإحياء بعد موت مائة سنة قادر على الإحياء بعد آلاف السنين، يقول ابن عطية: " وفي إماتته هذه المدة، ثم إحيائه أعظم آية، وأمره كله آية للناس غابر الدهر، لا يحتاج إلى تخصيص بعض ذلك دون بعض"[167].

9- قوله تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾**[168].

تعرض الآية الكريمة طلب خليل الله إبراهيم –عليه السلام– من ربه رؤية كيفية إحياء الموتى عياناً، وظاهر الآية يدل على أنه أجيب وأوتي سؤله، والله تعالى سأله مع علمه بإيمانه: أو لم تؤمن بقدرتي على الإحياء؟! فأجاب إبراهيم –عليه السلام– مؤكداً إيمانه، ومعللاً سؤاله بحرصه على الاطمئنان القلبي، والسؤال والجواب مع علمه تعالى بإيمان إبراهيم، ولهذا ثبت الله إيمانه وطمأنه، فأراه كيف يحيي الموتى، وأمره أن يأخذ أربعة من الطير، وأن يضمهن إليه، فيقطعهن أجزاء يفرقها على عدة جبال، ثم يدعوها فتسرع إليه لا يمنعها تفرق أمكنتها وبعدها من ذلك.

وسؤال إبراهيم ربه بقوله: (كيف تحيِي الموتى) لم يكن شكاً في قدرة الله، ولكنه سؤال عن كيفية الإحياء، فالاطمئنان جاء لمراد في كيفية مخصوصة، وتظاهر الأدلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة، ويؤيد هذا المعنى قوله –ﷺ–: «نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ»[169]، فإبراهيم –عليه السلام– لم يشك من باب أولى بدليل منطوق الآية، وقد علق ابن عطية على الحديث قائلاً: "أما قول النبي –ﷺ–: نحن أحق بالشك من إبراهيم؛ فمعناه: أنه لو كان شك لكنا نحن أحق به، ونحن لا نشك، فإبراهيم –عليه السلام– أحرى أن لا يشك، فالحديث مبني على نفي الشك عن إبراهيم"[170]، وهو ما يؤكده المراغي بقوله: "ليس في سؤال إبراهيم ما يشعر بالشك، فالإنسان قد جبل على طلب المزيد في العلم والرغبة في الوقوف على أسرار الخليقة، وأكمل الناس علماً أشدهم رغبة في طلب الوقوف على المجهولات، فطلب إبراهيم رؤية كيفية إحياء الموتى طلب للطمأنينة فيما تنزع إليه نفسه من معرفة خفايا أسرار الربوبية، لا طلب للطمأنينة بالبعث إذ قد عرفه بالوحى والدليل"[171].

الخاتمة

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأزكى صلوات الله وتسليماته على المصطفى من أطهر الأنساب وأشرف الأحساب، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى تابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد تم الانتهاء – بعون الله تعالى وتوفيقه – من إتمام هذا البحث، وما هو إلا محاولة لا تتعدى رشفة من ينابيع القرآن الكريم، فهو كتاب لا تنقضي عجائبه، ولا يمله الأتقياء، وأوضح بكل صدق وأمانة أن ما تم عرضه في ثناياه، لا يمكن أن يكون قد أحاط بالموضوع إحاطة تامة، وإنما هو خطوة في هذا الطريق، ولبنة في هذا البناء العظيم، وليس للباحث فيه إلا الجمع والترتيب، والله أسأل أن يكون خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين.

وبقي أن يشار إلى أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الدراسة، وقد تسنى للباحث الخروج بخلاصة تتضمن أهم النتائج، يتم إجمالها في ما يلي:

أولاً: النتائج

1- إن القرآن الكريم جاءنا تبياناً لكل شيء، وعرض لنا تصاريف من صور الحياة والموت، جامعاً بين أوجههما بحكمة بالغة تليق بالحكيم الخبير.
2- إن ظاهرتي الحياة والموت من آيات الله في خلقه، وسر من أسراره، فقد قضت حكمته تعالى أن يقرن الحياة بالموت، وأن يصلهما ببعض، مع اختلاف مدة الحياة التي يحياها الكائن الحيّ، وإذا كان الأمر كذلك، وجب الإيمان بالبعث، وإدراك الحكمة فيه.
3- لا يكاد يذكر معنى للحياة في القرآن الكريم إلا ويستتبعه معنى للممات، للدلالة على الارتباط الوثيق بينهما.
4- قد يأتي في القرآن الكريم إطلاق الحياة والموت على الأمور المعنوية، فيوصف المؤمنون بالأحياء، والكافرون بالأموات، وأنهم لا يستوون، أو يأتي إطلاق لفظ الموت على الجمادات.
5- تعد سورة البقرة من أكثر سور القرآن الكريم عرضاً لظاهرتي الحياة والموت، فقد تلازم ذكر مادتي الحياة

والموت ومشتقاتهما في مواضع من آياتها، وصلت في تعدادها إلى تسع آيات.

6- إن في الحياة والموت استبقاء للنوع الإنساني، وأمرهما ليس مرهونا بقتال أو غيره، وإنما هو محدد بمشيئة الله تعالى، وكُلّ مخلوق له مدة يَحْياها، وأجل يقضيه.

7- إن الموت ما منه ملاذ ولا مهرب، ولو نجا منه أحد لنجا منه خيرة الله من خلقه، فالنهاية هي الموت، ولا يموت الإنسان إلا بانقضاء أجله.

8- لم يصل العلم الحديث إلى إدراك حقيقة سر الحياة والموت، ولا إلى معرفة سر التقاء الأرواح بالأجساد وانفصالها عنها.

9- ليس الموت فناءاً وانقطاعاً بالكلية عن الحياة، وإنما انتقالٌ من حال إلى حال، ومن دار إلى دار.

ثانياً: التوصيات:

1- إن قضية الموت والحياة تبقى عرضة للأخذ والرد، ولا بد من اطلاع الفقهاء على بعض ما يعرض للأطباء، وبيان وجهة نظرهم في ذلك، ولا بد للأطباء من اطلاعهم على ما يبني عليه الفقهاء آراءهم، وما يستمدون منه أحكامهم.

2- ينبغي التريث في الحكم على حال المريض الذي بين الموت والحياة، لما فيه من محافظة على النفس البشرية، الأمر الذي يتفق مع المقصد العظيم من مقاصد الشريعة الإسلامية.

وختاماً يرجو الباحث أن يكون هذا العمل خالصاً لوجه الله الكريم، وأن ينفـــع به الإسلام والمسلمين، فاللهم غفرانك فيما أخطأت فيه من رأي رجحته، أو صواب خطأته، أو خطإٍ صوبته، وصلّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد أبد الآبدين، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع

[1]- ينظـــر: لسان العرب/ أبـــو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأفريقي (ت: 711ه)، تحقيق: نخبة من الأساتذة، دار الحديث، القاهرة – مصر، 1423هـــ - 2003م، (200/2)، مادة: (جمع).

[2]- المفردات فـــي غريب القرآن/ أبـــو القاسم حسين بن محمد بن الفضل المعروف بالـــراغب الأصفهاني (ت: 502ه)، تحقيق: محمد خليل عيتابي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: 4، 1426هـــ - 2005م، مادة: (جمع).

[3]- سورة القيامة، الآية: (9).

[4]- ينظر: التعريفات الفقهية/ محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1424هـــ - 2003م، (72).

[5]- ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل/ أبو عبدالله محمد المدعو بالقاسم بن أحمد بن جزي الكلبي (ت: 741ه)، تحقيق: رضا فرج الهمامي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا – بيروت – لبنان، 1426هـــ - 2005م، (41/1).

[6]- سورة هود، الآية: (24).

[7]- سورة التوبة: الآية: (82).

[8]- سورة النجم، الآية (43 – 44).

[9]- متفق عليه من حديث أنس بن مالك -ﷺ-، أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: قول النبي ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً»، حديث رقم (6486)، وأخرجه مسلم في كتاب: الفضائـــل، باب: توقيره -ﷺ-، حديث رقم (2359).

[10]- ينظر: البرهان في علوم القرآن/ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت: 794هـــ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا – بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1425هـــ - 2004م، (279/3).

[11]- دراسات وتوجيهات إسلامية/ أحمد سحنون (ت: 1424هـــ)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط: الثانية، 1992م، (337).

[12]- تفسير الماتريدي/ محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: 333هـــ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1426هـــ - 2005 م، (104/10).

[13]- سورة الأنفال، الآية: (42).

[14]- ينظر: لسان العرب، مادة: (حيا)، تاج العروس من جواهر القاموس/ محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت: 1205هـــ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د: ط، د: ت، مادة: (حيا).

[15]- ينظر: مقاييس اللغة/ أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت: 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م، مادة: (حيا).

[16]- مفاتيح الغيب/ فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسين ابن علي التميمي البكري الرازي الشافعي (ت: 604هـ)، تحقيق: هاني الحاج - عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، القاهرة - مصر، 2003 م، (149/2).

[17]- ينظر: الآيات الكونية دراسة عقدية، رسالة: مقدمة لنيل درجة الماجستير، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض إعداد: عبد المجيد بن محمد الوعلان، إشراف: د. عبد الكريم بن محمد الحميدي، 1432هـ - 1433هـ، (472).

[18]- التحرير والتنوير/ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984ه، (1/ 376).

[19]- ينظر: مصطلحات علوم القرآن/ د. عبد الحليم عويس، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط: 1، 2006م، (89/2).

[20]- أنوار التنزيل وأسرار التأويل/ ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط: الأولى، 1418هـ، (66/1)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم/ أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، د: ط، د: ت، (77/1).

[21]- الكليات/ أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، الحنفي (ت: 1094هـ)، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، (407/1).

[22]- التعريفات/ علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: 816هـ)، تحقيق: نخبة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط: الأولى، 1403هـ -1983م، (94).

[23]- التحرير والتنوير، (376/1).

[24]- تفسير الشعراوي (الخواطر)/ محمد متولي الشعراوي (ت: 1418هـ)، مطابع أخبار اليوم، 1997م، (1127/2).

[25]- مصطلحات علوم القرآن، (89/2).

[26]- ينظر: الصّحَاح/ إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: 393هـ)، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط: الأولى، 1426هـ - 2005م، مادة: (موت)، مقاييس اللغة، مادة: (موت).

[27]- مقاييس اللغة، مادة: (موت).

[28]- ينظر: لسان العرب، مادة: (موت)، تاج العروس، مادة: (موت).

[29]- ينظر: فقه اللغة وسر العربية/ عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت: 429هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، ط: الأولى، 1422هـ - 2002م، (105)، الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة/ محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (ت: 672هـ)، تحقيق: د. محمد حسن عواد، دار الجيل، بيروت - لبنان، ط: الأولى، 1411هـ، (232).

[30]- ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن/ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: 310هـ)، تحقيق: نخبة من الأساتذة، دار السلام، القاهرة - مصر، ط: الأولى، 1425هـ - 2005م، (258/1)، المجموع شرح المهذب/ أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ)، دار الفكر، د: ط، د: ت، (105/5)، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج/ شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: 977هـ)، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، 1415هـ - 1994م، (3/2)، الروح/ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، دار الكتب العلمية، د: ط، د: ت، (34)، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين/ أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: 502هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، 1983م، (115)، شفاء العليل في مسائل

الكويت، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، العدد (24)، 1427هـ - 2006م.

[39]- التحرير والتنوير، (508/1).

[40]- ينظر: الدر المختار، (189/2)، مغني المحتاج، (7/2)، المغني لابن قدامة، (191/3)، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل/ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب المالكي (ت: 954هـ)، دار الفكر، ط: الثالثة، 1412هـ - 1992م، (221/2).

[41]- أخرجه مسلم من حديث أم سلمة -ﷺ-، في كتاب: الجنائز، باب: في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر، حديث رقم (920).

[42]- فقه السنة/ السيد سابق، دار الفتح للإعلام العربي، مصر، ط: الأولى، 1425هـ - 2004م، (333).

[43]- ينظر: مجلة الثقافة السورية، أصدرها: خليل بن أحمد مختار مردم بك، الأعداد: 10 أعداد، (72/5).

[44]- تفسير المراغي/ أحمد بن مصطفى المراغي (ت: 1371هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط: الأولى، 1365هـ - 1946م ، (22/3).

[45]- ينظر: مصطلحات علوم القرآن، (401/3)، الآيات الكونية، (473).

[46]- ينظر: موت الدماغ بين الفقهاء والأطباء، (309)، علامة الموت بين الفقهاء والأطباء، (15)، أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها، محمد بن محمد المختار الشنقيطي، مكتبة الصحابة، جدة، ط: الثانية، 1415هـ - 1994م.

[47]- ينظر: الصحاح، مادة: (وجه)، لسان العرب، مادة: (وجه).

[48]- المفردات في غريب القرآن، مادة: (وجه).

[49]- ينظر: المصدر السابق، مادة: (وجه).

القضاء والقدر والحكمة والتعليل/ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، دار المعرفة، بيروت - لبنان، 1398هـ - 1978م، (92)، مِنْهَاجِ القَاصِدِينْ/ نجم الدين، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (ت: 689هـ)، تحقيق: أ. محمد أحمد دهمان، مكتَبَةُ دَارِ البَيَانْ، دمشق، 1398هـ - 1978م، (397).

[31]- إحياء علوم الدين/ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: 505هـ)، دار المعرفة، بيروت - لبنان، (494/4).

[32]- شرح العقيدة الطحاوية/ صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، (ت: 792هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية، ط: الأولى، 1418هـ، (390).

[33]- منهاج القاصدين، (397).

[34]- التعريفات، (235)، رد المحتار على الدر المختار/ محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز ابن عابدين الحنفي (ت: 1252هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط: الثانية، 1412هـ - 1992م، (189/2).

[35]- بلغة السالك لأقرب المسالك/ أبو العباس أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي المالكي (ت: 1241هـ)، دار المعارف، د: ط، د: ت، (542/1).

[36]- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة/ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ)، تحقيق: د. الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط: الأولى، 1425هـ، (112).

[37]- أحكام القرآن/ أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي (ت: 543م)، تحقيق: رضى فرج الهمامي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا - بيروت - لبنان، 1426هـ - 2005 م، (311/2).

[38]- ينظر: بحث بعنوان: (موت الدماغ بين الفقهاء والأطباء) د. حمد محمد الهاجري، (302)، كلية الشريعة - جامعة

[50]- الصحاح، مادة: (وجه)، لسان العرب، مادة: (وجه).

[51]- أساس البلاغة/ جار الله فخر خوارزم محمود بن عمر الزمخشري (ت: 538ه)، قدم له وعلق عليه: د. محمد أحمد قاسم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا - بيروت - لبنان، ط: الأولى، 1423هـ - 2003م، مادة: (وجه).

[52]- المفردات في غريب القرآن، (529).

[53]- متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: ما قيل في ذي الوجهين، حديث رقم (6058)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة، باب: خيار الناس، حديث رقم (2526).

[54]- ينظر: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ/ أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي المعروف بالسمين (ت: 756هـ)، تحقيق: عبد السلام أحمد التونجي الحلبي، مكتب الإعلام والبحوث والنشر بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس - ليبيا، ط: الأولى، 1995م، (2812/4).

[55]- ينظر: الإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف/ أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي (ت: 521هـ)، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط: الثانية، 1403هـ، (122).

[56]- سورة الأنبياء، الآية: (30).

[57]- سورة فاطر، الآية: (22).

[58]- سورة فصلت، الآية: (39).

[59]- سورة الأنعام، الآية: (122).

[60]- سورة آل عمرا، الآية: (169).

[61]- أخرجه مسلم من حديث ابن عباس -ﷺما-، في كتاب: الإمارة، باب: بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، حديث رقم (1887).

[62]- سورة الفجر، الآية: (24).

[63]- ينظر: المفردات في غريب القرآن، (144 -145)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز/ مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: 817هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، 1416هـ - 1996م، (512/2)، إصلاح الوجوه والنظائر/ الحسين بن محمد الدامغاني، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط: الخامسة، 1985م، (150)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين/ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط: الثالثة، 1416هـ - 1996م، (244/3).

[64]- ينظر: لسان العرب، مادة: (موت)، تاج العروس، مادة: (موت)، عمدة الحفاظ، مادة: (موت)، النهاية في غريب الحديث والأثر/ مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (ت: 606هـ)، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان، 1399هـ - 1979م، (369/4).

[65]- سورة آل عمران، الآية: (185).

[66]- سورة الزمر، الآية: (30).

[67]- سورة الجمعة، الآية: (8).

[68]- سورة البقرة، الآية: (28).

[69]- سورة غافر، الآية: (11).

[70]- سورة الأنعام، الآية: (122).

[71]- سورة فاطر، الآية: (22).

[72]- سورة فاطر، الآية: (9).

[73]- سورة يس، الآية: (33).

[74]- سورة آل عمران، الآية: (143).

[75]- سورة النحل، الآية: (21).

[76]- سورة آل عمران، الآية: (27).

[77]- ينظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر/ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597هـ)، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1404هـ - 1984م، (569)، بصائر ذوي التمييز، (536/4)، المفردات في غريب القرآن، (479)، إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، (445).

[78]- أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة -ﷺ- في كتاب: الزهد، باب: ما جاء في ذكر الموت، حديث رقم (2307)، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وابن ماجه في كتاب: الزهد، باب: ذكر الموت والاستعداد له، حديث رقم (4258)، والنسائي في كتاب: الجنائز، باب: كثرة ذكر الموت، حديث رقم (1824)، وحكم الألباني: (صحيح)، ينظر: مشكاة المصابيح/ محمد بن عبد الله الخطيب العمري، التبريزي (ت: 741هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط: الثالثة، 1985م، (504/1).

[79]- أخرجه ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر ﷺما في كتاب: الزهد، باب: ذكر الموت والاستعداد له، حديث رقم (4259)، والحديث إسناد ضعيف؛ لأن فيه فروة بن قيس، وهو مجهول، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت، والطبراني في الصغير بإسناد حسن، ينظر: مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، (249/4).

[80]- المغني/ موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي (ت: 620هـ)، تحقيق: نخبة من الأساتذة، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، 1425هـ - 2004 م، (185/3).

[81]- مغني المحتاج، (3/2).

[82]- كشاف القناع عن متن الإقناع/ منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي (ت: 1051هـ)، دار الكتب العلمية، د: ط، د: ت، (77/2).

[83]- سورة الزمر، الآية: (30).

[84]- سورة الأنبياء، الآية: (34).

[85]- سورة آل عمران، الآية: (145).

[86]- في ظلال القرآن/ سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: 1385هـ)، دار الشروق، بيروت – القاهرة، ط: السابعة عشر، 1412هـ، (3096/5).

[87]- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت: 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1422هـ، (337/5).

[88]- سورة الرعد، الآية: (39).

[89]- تفسير الطبري، (4755/6).

[90]- إحياء علوم الدين، (495/4).

[91]- الروح لابن القيم، (34).

[92]- محاسن التأويل/ محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: 1332هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1418هـ، (285/9).

[93]- ينظر: الصحاح، مادة: (لزم)، لسان العرب، مادة: (لزم).

[94]- ينظر: المفردات في غريب القرآن، مادة: (لزم).

[95]- سورة الفرقان، الآية: (77).

[96]- ينظر: الجامع لأحكام القرآن/ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي (ت: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني – إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط: الثانية، 1384هـ - 1964م ، (2268/2).

[97]- التعريفات للجرجاني، (244).

[98]- عمدة الحفاظ، (2369/4)، مادة: (ل، ز، م).

[99]- مفاتيح الغيب، (156/11).

[100]- المصدر السابق، (60/12).

[101]- ينظر: البرهان في علوم القرآن، (41/1).

[102]- ينظر: مباحث في علوم القرآن/ د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط: العشرون، 1997م، (155).

[103]- عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي/ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت: 1069هـ)، دار صادر، بيروت – لبنان، د: ط، د: ت، (272/2).

[104]- في ظلال القرآن، (3629/6).

[105]- الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة/ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، تحقيق: علي الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض - السعودية، ط: الأولى، 1408هـ، (4/ 1307).

[106]- ينظر: تفسير المنار/ محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد القلموني الحسيني (ت: 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، (363/2)، تفسير المراغي، (209/2).

[107]- ينظر: 1000 سؤال وجواب في القرآن/ قاسم عاشور، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1422هـ - 2001م، (91).

[108]- ينظر: الآيات الكونية، (473).

[109]- سورة غافر، الآية: (11).

[110]- سورة الأنعام، الآية: (122).

[111]- سورة الحجر، الآية: (23).

[112]- سورة الإسراء، الآية: (75).

[113]- سورة الشعراء، الآية: (81).

[114]- سورة فاطر، الآية: (22).

[115]- سورة النجم، الآية: (44).

[116]- سورة ال عمران: الآية: (156).

[117]- سورة الملك، الآية: (2).

[118]- تفسير المنار، (363/2).

[119]- سورة الأنفال، الآية: (24).

[120]- سورة فاطر، الآية: (22).

[121]- سورة النحل، الآية: (20 – 21).

[122]- سورة الجاثية، الآية: (24).

[123]- سورة الجاثية، الآية: (26).

[124]- سورة النور: (1).

[125]- أخرجه أبو داود من حديث عثمان ﷺ في كتاب: تفريع استفتاح الصلاة، باب: من جهر بها، حديث رقم (786)، والترمذي في كتاب: تفسير القرآن، باب: من سورة التوبة، حديث رقم (3086)، وقال الترمذي: "حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث عوف، عن يزيد الفارسي، عن ابن عباس"، وهو عند الألباني إسناده ضعيف.

[126]- متفق عليه من حديث سهل بن سعد الساعدي -ﷺ-، أحرجه البخاري في كتاب: النكاح، باب: السلطان ولي، حديث رقم (5135)، ومسلم في كتاب: النكاح، باب: الصداق، حديث رقم (1425).

[127]- ينظر: البرهان في علوم القرآن، (269/1)، التحبير في علم التفسير/ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: 911هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 1421هـ - 2001م، (144).

[128]- ينظر: التحرير والتنوير، (201/1).

[129]- سورة البقرة، الآية: (67).

[130]- أسباب النزول/ أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت: 368هـ)، تحقيق: أيمن صالح شعبان، دار الحديث، القاهرة، 1424هـ - 2002م، (25).

[131]- ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري/ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: نخبة من العلماء، دار المعرفة، بيروت - لبنان، 1379، (160/8).

[132]- ينظر: البيان في عدّ آي القرآن/ عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت: 444هـ)، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ط: الأولى، 1414هـ - 1994م، (140)، المحرر الوجيز، (81/1)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز/ مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: 817هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، د: ط، د: ت، (133/1).

[133]- ينظر: الجامع لأحكام القرآن، (152/1).

[134]- أخرجه مسلم من حديث أبي أمامة الباهلي-ﷺ-، في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة، حديث رقم (804).

[135]- متفق عليه من حديث أبي مسعود البدري -ﷺ-، أخرجه البخاري في كتاب: المغازي، باب: شهود الملائكة بدرا، حديث رقم (4008)، ومسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل الفاتحة، وخواتيم سورة البقرة، والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة، حديث رقم (807).

[136]- أخرجه مسلم من حديث النواس بن سمعان ﷺ في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة، حديث رقم (805).

[137]- أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب صلاة النافلة في بيته، وجوازها في المسجد، حديث رقم (780).

[138]- أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب: فضائل القرآن باب: ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي، حديث رقم (2878)، وقال الترمذي: "حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حكيم بن جبير، وقد تكلم شعبة في حكيم بن جبير وضعفه"، ومن هنا يظهر أن إسناده ضعيف، وبه حكم الألباني، ولكن له شواهد بمعناه يقوى بها.

[139]- سورة البقرة، الآية: (282).

[140]- ينظر: تفسير القرآن العظيم/ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت - لبنان، ط: الأولى، 1419هـ، (197/1)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن/ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: 1393هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 1415هـ - 1995م، (339/2)، صفوة التفاسير/ محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط: الأولى، 1417هـ - 1997م، (61/1)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج/ د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط: الثانية، 1418هـ، (191/1).

[141]- سورة البقرة، الآية: (28).

[142]- تفسير الطبري، (286/1).

[143]- سورة البقرة، الآية: (56).

[144]- سورة الكهف، الآية: (11 - 12).

[145]- ينظر: الجامع لأحكام القرآن، (404/1)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: 1270هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: الأولى، 1415هـ، (263/1).

[146]- ينظر: تفسير المنار، (267/1).

[147]- سورة البقرة، الآية: (73).

[148]- تفسير ابن كثير، (197/1).

[149]- أضواء البيان، (38/1).

[150]- سورة البقرة، الآية: (154).

[151]- تفسير البيضاوي، (114/1).

[152]- التحرير والتنوير، (54/2).

[153]- أخرجه مسلم من حديث ابن عباس -ﷺما- في كتاب: الإمارة، باب: بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، حديث رقم (1887).

[154]- سورة البقرة، الآية: (179).

[155]- إعلام الموقعين عن رب العالمين/ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1411هـ - 1991م، (79/2).

[156]- تفسير الطبري، (874/2).

[157]- تفسير البيضاوي، (122/1).

[158]- تفسير المنار، (105/2).

[159]- سورة البقرة، الآية: (143).

[160]- المحرر الوجيز، (328/1).

[161]- تفسير المراغي، (208/2).

[162]- سورة البقرة، الآية: (258).

[163]- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة/ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، د: ط، د: ت، (205/2).

[164]- ينظر: تفسير المنار، (39/3)، تفسير المراغي، (21/3).

[165]- تفسير الشعراوي، (1130/2).

[166]- سورة البقرة، الآية: (259).

[167]- المحرر الوجيز، (350/1).

[168]- سورة البقرة، الآية: (260).

[169]- متفق عليه من حديث أبي هريرة -ﷺ-، أخرجه البخاري في كتاب: تفسير القرآن، باب: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى)، حديث رقم (4537)، ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة، حديث رقم (151).

[170]- المحرر الوجيز، (352/1).

[171]- تفسير المراغي، (27/3).